موقف الفكر العربي
من الحضارة الغربية

لحضرة صاحب العزة الدكتور أحمد زكي بك

دعاني الرجال الأكرمون إلى أن ألقي كلمة موضوعها « موقف الفكر العربي من الحضارة الغربية »

ولقد نظرت في هذا الموضوع فوجدت أنه لا بد لي من أن أقف وقفة قصيرة عند الفكر العربي أتبين ما معناه ، وأن أقف وقفة قصيرة ، عند المدنية الغربية أتعرف ما مبناها

الفكر العربي :

أما عن الفكر العربي فإني أنظر إلى العرب والمستعربين جملة فأجدهم يسكنون رقعة من الأرض خطيرة ، وهي على خطرها رقعة واسعة تمتد من الأطلسي إلى إيران ، ومن تركيا إلى ما يقارب خط الاستواء . وأنظر إلى العرب أمما فأجدهم أمما متباينة الخطوط من التقدم ، مختلفة الأنصبة من الحضارة أيا كانت هذه ، مختلفة قرونها التي تعيش فيها ، فبعضها يعيش في القرن العشرين ويكاد يعيش فيا بعده ، وبعضها يعيش في القرن العاشر ، بل في القرن الأول ، بل فيا قبل القرون . وأنظر في هذه الأمم فرادى ، فأجد في الكثير منها رأسا أطل على هذا العصر الحاضر يرى ما فيه ، ويعلم ظواهره ويعلم خوافيه ؛ أما سائر الجسم فلا عين له ، فهو يتبع الرأس كما تتبع الأجسام ، وقد سهل الأمر على الأجسام أن تتبع لو أن الرأس رأس واحد يتجه إلى غاية واحدة ، ولكنه رأس ذو شعب ، رأس تشعب إلى رؤوس ، منها ما ينظر إلى الوراء فلا يرى في الدنيا شيئاً خيرا من ورائها ، ومنها ما ينظر إلى الأمام فلا يرى في الدنيا شيئا خيرا من أمامها ، ومنها ما ينظر إلى الوراء ثم إلى الوراء ويفضل أن يقعد فوق السور يستمتع بموكب الزمان الجاري

فأي رأس من هذه الرؤوس يتمثل فيه الفكر العربي الذي يراد لي أن أتحدث فيه . !

أم يراد لي أن أتحدث عن الفكر العربي متمثلا في كتابه ؟ فهؤلاء على قلتهم ، كالرؤوس في أممهم ، صنوف وأهواء . منهم المتأثر بالماضي غاية التأثر ، ومنهم المتحرر من الماضي غاية التحرر ، ومنهم أوساط بين هؤلاء وهؤلاء . وليس في التأثر بالماضي ما يعيب ، لأن الماضي بعضنا ، ولأنه بعض الحذر ، ولأنه الحفاظ الذي فيه بعض الوفاء . والفكر في كل العصور أمزجة ، منها المزاج المتحفظ . والفكر على إطلاقه لا يكاد يتحرر أبدا . إنه عمل العقل ولكن تتنازعه القلوب . إن الفكر لا يكاد يخلو من عاطفة ، والعاطفة وليدة الضغين الغوابر . كذلك ليس في التحرر غاية التحرر ما يعيب المتحررين . إنهم ضيقون بزمانهم ، آسون لحال أممهم ، ثائرون على ما يرون من بؤس وجهالة ، فهم يريدون أن يقفزوا في الزمان قفزا ليعوضوا على أممهم ما فات

في أي هؤلاء الكتاب — وهم مختلفون — يتمثل الفكر العربي . !

وليس في الشرق فكر منظم . . ليس في الشرق جماعات من الناس لها أفكار ولها أهداف إلا في السياسة . وحتى جماعات السياسة لا تجمعها أهداف بينة ، إن هي إلا غايات مبهمة كثيرا ما يوحي إلى شيطان بأن أوضح غاية فيها إبهامها . إن الشيء المبهم يجري وراءه الأشتات من الناس ، وفي الإيضاح التفرقة . إنهم يطلبون بالإبهام الكثرة ، وتلك عندهم غاية الغايات

ولقد يتحدث الناس عن الفكر العربي الذي لم يتوحد بعد ، فيقولون ويطنبون . ويأتون لك آخر الأمر بالشيء الجميل أو غير الجميل ، فإذا بهذا الشيء من خلقهم ، وإذا به ، لا الفكر العربي ، ولكن ما يجب أن يكون عليه الفكر العربي عندهم ، وما يجب أن تكون في حسبانهم خطة الحياة

إن الفكر فكرهم ، وهو عربي شرقي بمقدار ما هم عرب شرقيون . وفي غيبة الفكر العربي الموحد ، وعلى تفرقه وتشتته لا بد من قبول هذا الفكر ، ولو فكرا واحدا ، وهو على الأقل

فكر آحاد ؛ وهو على الأقل يمثل منحى من المناحى الفكرية الكبيرة

فأنا إذا تحدثت إليكم اليوم عن الفكر العربى ، فلا أدعى للذى أقول من التمثيل أكثر من أنه يشاركنى فى الذى أقول طائفة فى الشرق العربى غير قليلة

وبعد فما يجوز أن ننسى أن الفكر انفعال ؛ وأن فكر الفرد من صنع البيئة ، وصنع النشأة ، وصنع الزمان

الحضارة الغربية :

ثم ما الحضارة الغربية التى أبحث عن موقف الفكر العربى منها؟

لقد كان للانسان حضارات بكل أرض وبكل زمان : حضارة مصرية ، وحضارة آشورية وبابلية وفينيقية ، حضارة إغريقية ورومانية ، حضارة هندية وصينية ، وحضارة عربية أثبتت وجودها وفرضت فروضها وشاركت فى الحياة على هذه الأرض ألف عام . ولكل من هذه الحضارات فضل ، ولكل منها شئ وأشياء تميزها . . وهى كلها مجهودات للانسان جيدة فى سبيل غاية لا يدريها . والإنسان يفنى وهذه المجهودات غير فانية ، أو الكثير منها غير الفانى . وهى مجهودات خالدة بحسبانها أشكالا وأنماطاً وأساليب للعيش وقوالب للفكر تتوارث . كما أن الإنسان خالد بحسبانه نطفا تتوارث ، ومظاهر الحضارات ومن أظهرها يفنيان جميعا كما قال المتنبى فى شعره المعروف

أين الذى الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن أصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع

إلا الفكر .. الا الفكر الذى أنتجها، أو الفكر الذى أنتجته، فهذان يخلدان ؛ لأن الفكرة لا تموت . ولقد بقى من الحضارات الماضيات أفكار ترقد فى أوراق ، لا تزال تجتليها ونسرح البصر البصيرة فيها

والمدنية الحاضرة إنما هى مجاع تلك المدنيات جميعا . والمدنية الحاضرة تجد فى تلك المدنيات الغابرات فكرة ترضاها فتنتفع منها ، أو تجد فكرة لا ترضاها فتتجنب أذاها؛ فهى فكرة تهدى على كل حال حتى برفضها ، كالطريق الذى لا تسلكه يدلك على الطريق الذى تسلكه

والمدنية الحاضرة تميزت بصفات وتألفت من عناصر سوف أجتهد فى إخراج بعضها وإبرازه ، صفة صفة ،أو عنصر عنصرا ، وأدلى بموقف الفكر العربى ، كما أراه ، منها

الحضارة والعلم :

إن المدنية الحاضرة ميزتها الكبرى العلم . العلم الطبيعى . العلم التجريبى

والعلم ليس كالناس يولد فى ساعة . إنه يولد على القرون فلا تكاد تعرف له ميلادا . وأنا إن ذكرت الميلاد ، حلال داعما أن أتخذ من حياة (لافوازيه) للعلم ميلادا. وهو ولد عام١٧٤٣ ومات عام ١٧٩٤ ، فحياته استغرقت النصف الثانى من القرن الثامن عشر . ولافوازيه أبو الكيمياء الحديثة لأنه كشف الهواء وكشف عناصره . وما كانت مدنية مؤسسة على العلم الطبيعى لتكون والناس فى جهالة من الهواء الذى منه يحيون ، وفيه تحدث الأحداث للأشياء الأخرى والناس . إنه لولا أن تركيب الهواء اتضح ، ما أمكن أن يكون علم ولا مدنية علمية . وإذن فإذا قلنا إن العلم ، والمدنية العلمية ، لم تقف على أرجلها إلا من نحو قرنين لم نعد الصواب . والعلم قبل ذلك لعله كان يحبو ، ولعله طال حبوه وطال كثيرا

وصفة العلم هذه هى الغالبة أكثر الغلبة على المدنية الحاضرة ، لأن الكثرة الكبرى من نتائج العلم مادية ، وهى تتصل أكثر اتصال بما يرى الناس ، ويسمع الناس ، ويحس الناس ، وبما يأكلون ويلبسون ويسكنون ، وبوسائل بها ينتقلون على الأرض أو على الماء أو فى السماء . وهى تتصل بضرورات الحياة ورفهها . ولو أن رجلا من مدنية غابرة نشر ونفض عن نفسه التراب ، وأخذ يمشى بيننا كما فعل عيسى بن هشام ، لخفى عليه أول الأمر من مدنيتنا كل شئ ، إلا هذه الظواهر المادية الكثيرة ، فهى ستبهره ، وهى ستدهشه ، وهى ستشدهه . وهو سيؤخذ بها من أول يوم ، أما مظاهر المدنية الأخرى فستتكشف له على الأشهر ، ومنها مالا يتكشف إلا على السنين ، لأنها لا تتكشف إلا بالدراسة الطويلة والممارسة

وهنا نتساءل ؟ ما موقف الفكر العربي من هذا الأصل الأول من أصول المدنية الحديثة

والجواب أنه المناصرة بغير شرط ، وبغير حد ، وفي غير احتياط . ذلك أن العلم وليد المنطق ، والمنطق لا يرفضه ويرفض نتائجه ذو عقل . وأحسب أنا جميعا ، أهل الشرق العربي ، من العقلاء

وسبب آخر لمناصرة العلم ، أنه سبب للرفاهية ورغد العيش ولينه ، عظيم . وهو لتسهيل الحياة وتيسيرها ، وليس بعاقل كبير العقل من يريد الحياة خشنة ، أو من يريدها عسيرة ، في غير ضرورة

وسبب ثالث ، أن العلم يجعل الحياة أكثر امتلاء ، وهي بامتلائها أكثر زمانا ، فهي أطول . والذي يعيش اليوم ، في بيئة هذه الحضارة العلمية أربعين عاما ، فقد عاشها أربعين كما نين من العصور الأخرى . إن سنوات العمر ، كورق النقد ، تعلو وترخص ، ويصيبها التضخم على انحطاط قيمة ، ويصيبها التقلص

وسبب رابع لمناصرة العلم ، أن الناس ، بسبب العلم ، ولأسباب غير العلم ، زادوا أعدادا ، وزادوا فوق ما تسعهم الأرض ، وفوق ما تكفيهم غذاء ، وفوق ما تكفيهم كساء . وهذا الضيق يقوم بتفريجه العلم ، فهو يفرض على الأرض أن تنتج الكفاية من الطعام ، والكفاية من اللباس ، والكفاية من ضرورات العيش

إن قوما يشكون الفقر قوم لا يأخذون بأسباب العلم . وكذلك قوم يشكون المرض . إن العلم أسرع ذهاب بالفقر ، وأسرع ذهاب بالآلام . إنه ليجتث الآلام من أصولها ، باجتثاث أسبابها ، وعنده أن الوقاية خير من العلاج

وسبب خامس لمناصرة العلم ، ذلك أنه لأسباب خارجة عن العلم ، لا يزال الناس يأكل بعضهم بعضا ، ويأكلونهم بالعلم ، ولا أحسب أن أحدا في الشرق العربي يحب أن يؤكل ، والعلم يمنعك من أن تأكل الذئاب

لقد كدت أحس بشيء من السفه في تمديد ما للعلم من منافع ، ومن أسباب مناصرته. ذلك أن بعض السفه تعداد البدائه

والفكر العربي مناصر للعلم في كل ما ذكرت من هذه الحقول المادية . وهو مناصر له أيضا في سائر الحقول ، فعلى العلم وعلى نتائجه يجب أن تتأسس معاني الحياة ، وعقائد الحياة وما بعد الحياة . إن العلم وحدة لا تتجزأ

وقد نضيق بالعلم وبنتائج العلم ، فنطلب الترويح في غيبته ، ونطالب للرفه بنفيه وإبعاده . وقديما نفى الناس المعقول بالشراب ليتروحوا ، ولكن إلى حين ، يعودون بعده إلى ممارسة الحياة على العقل الواعي وعلى القلب الصاحي

ونحن نناصر العلم ونعلم أن من الناس من خلطوا بين أشياء أثبتها العلم فهي حقائق ، وأشياء خالها العلم فهي ظنون ، وأشياء لم يمسها العلم لا بالظن ولا باليقين ، فهي من خلق أصحابها

ونحن نناصر العلم ونعلم قصوره وقصور أدائه . إن أداة العلم لا تزال الوزن والقياس ، ولكن قوما يريدون أن يقحموه غصبا فيما لا يوزن ولا يقاس ؛ لا طلبا لشيء قد يكون وقد لا يكون ، ولكن إثباتا لشيء هو في أذهانهم كائن قائم وقد يكون قائما ، وقد يكون كائنا ، ولكن ليس هو مما يستطيع العلم أن يسير إليه بأداته الحاضرة

فهذا هو العلم ، أظهر صفة من صفات المدنية الحاضرة

الكلام صلة

أحمد زكي

مصلحة البلديات

إعلان بمناقصة

تقبل العطاءات بمجلس بور سعيد البلدي حتى ظهر يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٥١ عن عملية توريد قش جروان (للفشات)

وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة ثلاثين مليما نظير ١٠٠ مليما للنسخة وكل عطاء لا يرفق بتأمين ابتدائي قدره ٢٪ من قيمته لا يلتفت إليه

٩٩٤١